القارئ: أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٦-٢٩].

الشيخ: إلى هنا، لا إله إلَّا الله.

يخبرُ -سُبحانَهُ وتعالى- عن نفسه أنَّه {لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً}، أنْ يضربَ المثلَ ببعضِ الأشياءِ الحقيرة كالبعوضة والذبابِ والعنكبوت، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي} وذلك؛ لكمال حكمته، فهو يُبيِّنُ الحقَّ بضربِ الأمثالِ، وإن كانَ ما ضربَ به المثلَ حقيرًا وصغيرًا، والله -تعالى- من صفاته: الحياء، كما في حديث عثمانَ استحيا..، في قصَّة الثلاث وأمَّا الذي جلسَ خلفَ الحلقةَ فقال فيه الرسولُ: (اسْتَحَيَا فاسْتَحَيَا اللهُ منه)، وقال: (إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ، يَسْتَحِي أَنْ يَرْفَعَ إليه عبدُهُ المؤمنُ يديه أن يَرُدَّهُمَا صفرًا)، أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، وقال: (إنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ)، لاَ يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ، وضربُ المثلِ بالأشياءِ الحقيرةِ لبيانِ الحقِّ هو من الحقِّ، فهو لا يَستَحِي من الحقِّ، {أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}.

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} فينتفعونَ ببيانِ الله، ويعلمونَ حكمةَ الله، ولا يَعترضونَ على كلامه وضَرْبِه الأمثالَ بهذه الأشياء، {فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} اعترضوا عليه: "كيف يرى المثلَ بهذه الأشياء بالعنكبوت؟!"

وجاء في سببِ نزولِ هذه الآية أنَّ المشركين اعترضُوا على ما جاء في بعضِ أمثالِ القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ} [الحج:٧٣] فذكر الله الذُباب وذكرَ العنكبوت.

{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} هذا استفهامٌ إنكاريٌّ، يَستنكِرُون، ويُعارِضُون، قال -تعالى-: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} يعني: بالقرآن وبما به من ضربِ الأمثالِ

يَضِلُّ به كثيرٌ من الجاهلين، وهؤلاء الكفار الذين يُعارِضون كلامَ الله هؤلاء قد ضلُّوا بهذا القول {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا}.

{وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا}، فالمهتدون بالقرآن كثيرٌ، والضالُّون بالقرآن كثيرٌ، وضَلالُ مَنْ ضَلَّ بالقرآن؛ هو بسبب إعراضه وبسبب تكذيبه وبسبب اعتراضه، وإلَّا فهو هدى للناس وإنَّما يهتدي به الموفَّقون، {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة:٢] {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس:٥٧]

{وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ}، هذه بعضُ صفات الكافرين المُكذِّبين، وهم فاسقونَ الفِسْقَ الأكبرَ، لأنَّ الفسقَ المذكورَ في القرآن نوعان: فسقٌ أكبرُ، وهو كفر، وهو الكفر، وفسقٌ دون فسقٍ وهو ما يحصلُ ببعض الذنوب، ويُعلَمُ هذا من هذا بالسِّياق بسياق الآيات، {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}، هذه صفةُ أولئك الضالِّينَ الفاسقين {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.

ثم قال -سبحانه وتعالى-: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا} تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ بجَحْدِ ما أخبرتْ به الرسلُ من البعث والنشور، {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ}؟ وتكفرون أيضًا بإلهيَّته فلا تُوحِّدونه {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وهذا من الاستدلال بالنَّشأة الأولى على النَّشأة الأُخرى، كُنْتُمْ أَمْوَاتًا في أصلاب آبائكم وفي بطون أُمهاتكم، كُنْتُمْ أَمْوَاتًا {فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ}، الحياةُ الأولى هي الحياةُ الَّتي يتمتَّعُ بها الإنسانُ في هذه الدنيا {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} الموتَةَ الثَّانية، {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} الحياةَ الأُخرى، {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يرجعُ الناس إلى ربِّهم وإلى المصير الذي أَعَدَّ لهم، {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ}، وهذا استفهامٌ وتوبيخٌ وإنكارٌ على المُكذِّبين بالبعث {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا} تعلمون هذا الأمر، هذا أمرٌ معروفٌ عند..، {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} بعد أن كان الانسانُ جَنينًا، نطفَةً، فعَلَقَةً، فمُضغَةً يصيرُ حيًّا وسويًّا وإنسانًا مُصوَّرًا فيُولَدُ، {فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}، ولعلَّ هذا أيضًا من الاستدلال على البعث بخَلقِ السَّموات والأرض، فإنَّ أدلةَ البعث في القران التي تُثَنَّى وتُذكَرُ مرارًا هي أربعة: الاستدلالُ بالنشأة الأولى، وهذا كثيرٌ، الاستدلالُ بخلقِ السَّموات والأرض

{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} [يس:٨١] فهذا من هذا.

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، وأيضًا مما يدلُّ على قدرته على البعث، كمالُ علمه سبحانه وتعالى، كما ذكرَ في "سورة يس"، ذكرَ كثيرًا من دلائلِ البعث: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} {وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس:٧٨-٨٢]

فيستدلُّ العلماءُ بقوله تعالى: {خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ} على إباحة كُلِّ ما خلقَ اللهُ في الأرض من حيوانٍ ونباتٍ، فالأصلُ في الإباحة إلَّا ما أخرجه الدَّليلُ وخصَّهُ الدَّليلُ، {خَلَقَ لَكُمْ}كل ما على الأرض، كل ما خلقَهُ اللهُ على هذه الأرضِ فهو خلقَهُ للعباد، لمنفعة العباد، {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} سبحانه وتعالى, وذكر هذا المعنى بالجملة في سورة حم السجدة: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت:١١] والله أعلم.

طالب: [....]

الشيخ: سبحان الله وبحمده، لا هذا للناس كلِّهم؛ لأنَّ الله يقول لما تكون خالصةً يوم القيامة والله أعلم، {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف:٣٢] لعبَاده عمومًا، لعبَاده {قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} يعني إنما هي حلالٌ للمؤمنين، أما أنها خُلقَتْ لينتفعَ بها الناسُ كلُّهم، وتكونُ هذه النِّعَمُ والزينةُ والطَّيِّبَاتُ من الرِّزْقِ تكون يومَ القيامة خالصةً للمؤمنين، خَالِصَةً {خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الأعراف:٣٢] والله أعلم.